

لا تصالح

أمل دنقل

<https://www.aldiwan.net/poem25085.html>

(1)

لا تصالح!
..ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقاً عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما..
هل ترى..
هي أشياء لا تشتري..
ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،
حسبك نجاةً بالرجولة،
هذا الحياء الذي يكبت الشوق.. حين تعانقهُ،
الصمتُ مبسمين لتأنيب أمك.. وكأنك
ما تزالان طفلين!
تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:
أنَّ سيفان سيفك..
صوتان صوتك
أنك إن متَّ:
للبيت رب
وللطفل أب
هل يصير دمي بين عينيك ماءً؟
أتنسى ردائي الملطَّخ بالدماء..
تلبس فوق دمائي ثياباً مطرزةً بالقصب؟
إنها الحرب!
قد تثقل القلب..
لكن خلفك عار العرب
لا تصالح..
ولا تتوخ الهرب!

(2)

لا تصالح على الدم.. حتى بدم!
لا تصالح! ولو قيل رأس برأسٍ
أكلُ الرؤوس سواء؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟!
أعينا عينا أخيك؟!
وهل تتساوى يدي.. سيفها كان لك
بيد سيفها أئكلك؟
سيقولون:
جئناك كي تحقن الدم..
جئناك.. كن يا أمير الحكم
سيقولون:
ها نحن أبناء عم.
قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
واغرس السيف في جبهة الصحراء
إلى أن يجيب العدم
إنني كنت لك
فارساً،
وأخاً،
وأباً،
وملك!

(3)

لا تصالح..
ولو حرمتك الرقاد
صرخاتُ الندامة
وتذكر..
(إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين تخصمهم الالبتسامة)
أن بنت أخيك "اليمامة"
زهرة تسربل في سنوات الصبا
بثياب الحداد
كنت، إن عدت:
تعدو على درج القصر،
تمسك ساقني عند نزولي..
فأرفعها وهي ضاحكة
فوق ظهر الجواد

ها هي الآن.. صامته
حرمتها يدُ الغدر:
من كلمات أبيها،
ارتداء الثياب الجديدة
من أن يكون لها ذات يوم أخ!
من أب يتبسم في عرسها..
وتعود إليه إذا الزوج أغضبها..
وإذا زارها.. يتسابق أحفاده نحو أحضانه،
لينالوا الهدايا..
ويلهوا بلحيته (وهو مستسلم)
ويشدوا العمامة..
لا تصالح!
فما ذنب تلك البمامة
لترى العنّ محترقاً.. فجأة،
وهي تجلس فوق الرماد؟!

(4)

لا تصالح
ولو توجوك بتاج الإمارة
كيف تخطو على جثة ابن أهلك..؟
وكيف تصير المليك..
على أوجه الهجة المستعارة؟
كيف تنظر في يد من صالخوك..
فلا تبصر الدم..
في كل كف؟
إن سهما أثنائي من الخلف..
سوف يجيثك من ألف خلف
فالدم الآن صار وساماً وشارة
لا تصالح،
ولو توجوك بتاج الإمارة
إن عرشك: سيف
وسيفك: زيف
إذا لم تزن بذؤابه لحظات الشرف
واستطبت الترف

(5)

لا تصالح
ولو قال من مال عند الصدام
".. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام..
عندما يملأ الحق قلبك:
تندلع النار إن تتنفس
ولسان الخيانة يخرس
لا تصالح
ولو قيل ما قيل من كلمات السلام
كيف تستنشق الرثمان النسيم المدنس؟
كيف تنظر في عيني امرأة..
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غداً.. لوليد ينام
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام
وهو يكبر بين يديك بقلب منكس؟
لا تصالح
ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام
وارو قلبك بالدم..
وارو التراب المقدس..
وارو أسلافك الراقدين..
إلى أن ترد عليك العظام!

(6)

لا تصالح
ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزن "الجليلة"
أن تسوق الدهاء
وتبدي لمن قصدوك القبول
سيقولون:
ها أنت تطلب ثأراً يطول
نخذ الآن ما نستطيع:
قليلاً من الحق..
في هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأرك وحدك،
لكنه ثأر جيلٍ لجيلٍ
وغداً..
وغيلاً..

سوف يولد من يلبس الدرع كاملةً،
يوقد النار شاملةً،
يطلب الثأر،
يستولد الحق،
من أضلّع المستحيل
لا تصالح
ولو قيل إن التصالح حيلة
إنه الثأر
تبهت شعلته في الضلوع..
إذا ما توالى عليها الفصول..
ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباه الذليلة!

(7)

لا تصالح، ولو حذرتك النجوم
ورمى لك كهأها بالنبأ..
كنت أغفر لو أني مت..
ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ.
لم أكن غازياً،
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم
لم أمد يداً لثمار الكروم
لم أمد يداً لثمار الكروم
أرض يستأنهم لم أطأ
لم يصح قاتلي بي: "انتبه!"
كان يمشي معي..
ثم صاحني..
ثم سار قليلاً
ولكنه في الغصون اختبأ!
جأة:
ثقيتني قشعريرة بين ضلعين..
واهتز قلبي كفقاعة وانفثاً!
وتحاملت، حتى احتملت على ساعدي
فرايت: ابن عمي الزنيم
واقفاً يتشقى بوجه لثيم
لم يكن في يدي حربة

أو سلاح قديم،
لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظمأ

(8)

لا تصالحُ..
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة:
النجوم.. لميقاتها
والطيور.. لأصواتها
والرمال.. لذراتها
والقتيل لطفلته الناطرة
كل شيء تحطم في لحظة عابرة:
الصبا بهجة الأهل صوت الحصان التعرف بالضيف هممة القلب
حين يرى برعماً في الحديقة يذوي الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي مراوغة القلب حين يرى طائر الموت
وهو يرفرف فوق المباراة الكاسرة
كل شيء تحطم في نزوة فاجرة
والذي اغتالي: ليس رباً..
ليقتلني بمشيئته
ليس أنبل مني.. ليقتلني بسكينته
ليس أهر مني.. ليقتلني باستدارته الماكرة
لا تصالحُ
فما الصلح إلا معاهدة بين ندين..
(في شرف القلب)
لا تنتقص
والذي اغتالي محض لص
سرق الأرض من بين عيني
والصمت يطلق ضحكته الساخرة!

(9)

لا تصالح
ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ
والرجال التي ملأتها الشيوخ
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم
وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ
لا تصالح
فليس سوى أن تريد

أنت فارسُ هذا الزمان الوحيد
وسواك.. المسوخ!

(10)

لا تصلحُ
لا تصلحُ